هَلْ سَتَتَخَلَّصُ السَّعُودِيَّةُ (وَالمَغْرِب) مِنْ هَيْمَنَةِ أَمْرِيكَا ؟

رحمان النوضة (الصيغة 6).

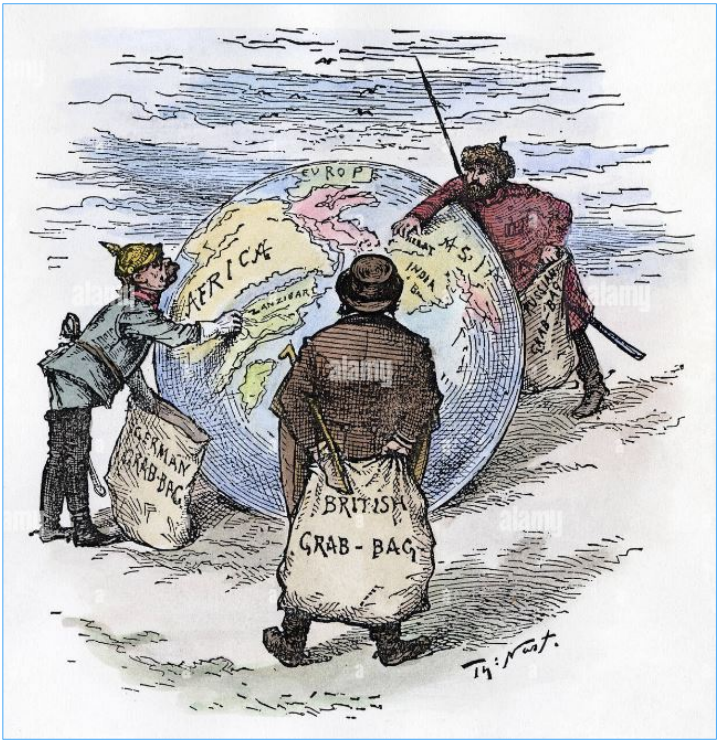

الإمبرياليات تتقاسم العالم.

في يوم الخميس 9 مارس 2023، وَفي مَدينة بِيكِين، وَقَّعَت السَّعُودية وَإِيرَان (العَدُوَّان السَّابِقَان)، تحت رِعَايَة الصِّين، إِتِّفَاقِية

أَوَّلِيَة لِـ «تَطْبِيع» العَلَاقات بينهما. وهذا تَغَيُّر اِسْتْرَاتِيجِي جَدِيد، وَهَام، في الشَّرق الأوسط. لأنه مُؤَشِّر مَلمُوس على بداية الإنتقال مِن عالم أُحَادِي القُطْبِيَة (تحت هَيْمَنَة أمريكا)، إلى عالم مُتَعَدِّد الأَقْطَاب (تَتَنَافَسُ فيه دُوَل كُبْرَى مِثْل أمريكا، والصّين، وَرُوسْيَا، والهِنْد، والبرازيل، الخ). ولأن أمريكا وإسرائيل تَعَوَّدَتَا، خلال عُقُود مُتَوَالِيَة، على زَرْع الشُكُوك، والأَحْقَاد، والْاِنْقِسَامات، والعَدَاوَات، والمُنَاوَشَات، والحُرُوب، والخَرَاب، فِيما بين البُلْدان المُسْلِمَة، أو النَّاطِقَة بِالعَربية. لكن بعض البلدان العربية، بما فيها مَمْلَكَات وَإِمَارَات في الشرق الأوسط، بدأت تُدْرِكُ أن ما تَخْسِرُه في إطار علاقاتها مع أمريكا وإسرائيل، هو أكبر بكثير مِمَّا تَرْبَحُه من هذه العلاقات.

وَسَارَع العراق، وَعُمَان، وَسُورْيَا، وَلُبْنَان، إلى التَرْحِيب بهذه الْاِتِّفَاقِيَة الأَوَّلِيَة الإيجابية (بين السّعودية وإيران).

ومن الواضح أن هذه الاتفاقية (بين السّعودية وإيران) تُشكِّل لَدَى السَّعُودية بِدَايَةَ عِصْيَان تُجَاه التَبَعِيَة السَّابِقَة المُطْلَقَة لِلْوِلَايَات المُتحدة الأمريكية. ومن الواضح أيضًا أن «الحائط» الذي سَبَقَ أن بَنَتْهُ إسرائيل بينها وبين إيران، والمُكَوّن (بِالوَكَالَة) من المَمْلَكَات والإمارات العربية في الشّرق الأَوسط (بما فيها السَّعُودية)، قد بَدَأَ يَتَهَاوَى. وهكذا، فإن تَطْبِيع العَلَاقَات بين السَّعُودِيَة وَإِيران هو اِنتكاسة جديدة تَنْضَاف إلى الاِنْتِكَاسَات الدَّاخلية التي تُعَانِي منها إسرائيل (وأبرزها الصّراع الحَاد حول تَحويل جهاز القضاء إلى مُؤَسَّسَة خَاضِعَة لِلسُّلْطَة السياسية التنفيذية).

وقد لَعِبَت سَلْطَنَة عُمَان، وَجُمهورية العراق، دورا مهمًّا (وَسِرِيًّا) في تَهْيِئ هذه التَقَارُبَات والتَفَاهُمَات فيما بين السّعودية وإيران. لكن بعض المُلاحظين يُرْجِعُون الدور الكبير في هذه التطوّرات إلى الأمير الشّاب السعودي محمد بن سَلْمَان (وَفَرِيقِه الذي يُساعده). وَإِلَى هذا

الأَمِير الصَّاعِد، تُنْسَبُ أيضًا طُمُوحَات إخراج السعودية من وَضْعِيَة العَبَث، والتَخَلُّف، والاستِغْلَال، والانحطاط، التي أَغْرَقَتْهَا فيها الإِمْبِرْيَالِيَات الغربية على اِمْتِدَاد قُرَابَة سَبْعَة عُقُود.

وقد دافع الأمير محمد بن سلمان، منذ يُناير 2016، عن «بَرنامج 2030»، الذي يهدف إلى تَعْمِيق الرَّأْسَمَالِيَة في السّعودية، وَإلى «تطوير الاقتصاد السّعودي إلى اقتصاد مُتَنَوّع، ومُنْفَتِح، ومُصَنَّع، وَحَدَاثِي»، وَ«تَقليص التَبَعِيَة تُجاه النَّفط»، و«تنمية مَناجم اليُورَانْيُوم»، وَ«خَوْصَصَة التعليم، والصِحَّة»، وَ«تَقليص المساعدات الاجتماعية» (التي ظلّت مَجَّانِيَة، أو سَخِيَّة جدًّا، في السعودية)، وَ«إِدْخَال الضَرِيبَة على القِيمَة المُضَافَة» (لجلب موارد جديدة إلى خزينة الدولة)، الخ.

وَكَرَدّ فِعل فَوْرِي وَمُباشر على إِتّفَاقِية التَقَارُب والتَعَاوُن فيما بين السّعودية وإيران، تَصَاعَدَت صَيْحَات التَخَوُّفَات، والتَنْدِيدَات، والتَهْدِيدَات، والمُؤَامَرَات، من طَرَف إسرائيل، والولايات المتّحدة الأمريكية، وعموم الإمبرياليات الغَربية، التي أَلِفَت اللَّعِب على مَنْهَج «فَرِّق تَسُد». حيث كان أساس اِسْتِغْلَال وَنَهْب البلدان المُسلمة، والناطقة بالعربية، هو تَقْسِيمُها، وَتَفْرِيقُها، وَتَأْجِيج التَوَتُّرَات، والعَدَاوَات، والمُنَاوَشَات، وحَتَّى الحُرُوب، فيما بينها.

وَكَنَتِيجَة فَوْرِيَة وَمُباشرة لهذه الْاِتّفَاقِيَة الْأَوَّلِيَة بين السعودية وإيران، ظَهرت بِدَايَات مَلَامح تَقَارُب جديد بين السّعودية وَسُورْيَا، واحْتِمَال رُجُوع "جَامِعَة الدول العربية" إلى سُورْيَا، وَانْفِرَاج في مسألة اِنْتِخَاب رَئِيس جُمهورية لُبْنَان المُعَطَّل منذ قُرَابَة عام، واسْتِعْداد لدى السّعودية لِإِنْهَاء الحرب العَبَثِيَة، وَالمُخَرّبَة، في اليَمَن، إلى آخره. وهي كلها بِدَايَات لِتَغْيِيرات تَكْتَسِي أَبْعَادًا اِستراتيجية، وَهَامّة، في مُجْمَل الشرق الأوسط.

مَا المقصود مِمَّا سَبَق ذِكْرُه ؟ 1) لم أقل أن السعودية أصبحت رائعة، أو تَقَدُّمِيَة. ولكنني قلتُ أنها بدأت تُحاول التَخَلُّص مِن هَيْمَنَة أمريكا. وبداية مُحاوَلَة التَخَلُّص مِن هَيمنة أمريكا خير من الاستمرار في القَبُول التَامّ بها. 2) حدوث بداية حوار أو تَقَارُب بين السّعودية وإيران، هو بِالتَّأْكِيد في مصلحة الشعبين السعودي والإيراني، وضدّ مُنَاوَرات أمريكا وإسرائيل، الرَّامِيَة إلى تَطْبِيق سِيَّاسَة «فَرِّقْ تَسُدْ». 3) أكيد أن النظام السياسي القائم في السعودية ظَلَّ استبداديًا، وَتَبَعِيًّا، لِلْإِمْبِرْيَاليات الغربية. لكن حُدُوث تَحَوُّلَات شُمُولِيَة وجَذْرِيَة (في السَّعُودية)، يَسْتَوجِب بِالضَّرُورَة حُدُوثَ تَرَاكُم مِن التَحَوُّلَات الصغيرة والكثيرة. 4) من المُمكن أن يَبْقَى النظام السياسي السعودي مُحَافِظًا، أو رجعيًّا، أو تَبَعِيًّا لِلْإِمْبِرْيَالِيّات الغربية، خلال زمان طويل، كما يُمكن أن يُؤَدّيَ هذا التَقارب والتَعاون الجديدين بين السعودية وإيران إلى اِنْطِلَاق سَيْرُورَة مِن التحوّلات، التي قَد تُؤَدّي هي نفسها، بعد عِقْد أو بضعة عُقُود من التَرَاكُمَات، إلى إحداث تَغْيِيرات جَذْرِيَة في كِلَا النظامين السياسيّين في السعودية وفي إيران.

فَتَتَبَادَرُ فَوْرًا في الذّهْن التساؤلات التَالية : هل تَقدر أنظمة سياسية أخرى (مِن التَحَالُف بَين المَمْلَكَات والْإِمَارَات العربية)، مثل الإِمَارَات، وَقَطَر، وَالكُوِيت، والبَحْرَيْن، وَعُمَان، وَالأُرْدُن، وَالمَغْرِب، على اِتِّبَاع مَنْهَج مُمَاثِل لِهذا المَنهج الجديد الذي عَمِلَت به السَّعُودية، والذي يَتَمَرَّدُ على هَيْمَنَة أمريكا ؟ خَاصَّةً وأن السَّعودية تَقُوم بِدَوْر قِيَّادِي، أو رَائِد، أو نَمُوذَجِي، تُجاه هذه المَمْلَكَات والإِمَارات. وهل يَقدر النظام السياسي القائم في المغرب على أن يَفْهَم، هُوَ أيضًا، أن عَدَاوَتَه المُصْطَنَعَة مع جَارَتِه وَشَقِيقته الجزائر، هي مثل العَدَاوَة القَدِيمَة المُصْطَنَعَة بَيْن السَّعُودية وَإِيرَان. وهل يَسْتَطِيع النظام السياسي في المغرب، أن يُدْرِك أن هذه العَدَاوَة المُفْتَعَلَة ضِدَّ الجَارَة

الجَزَائِر، تُكَلِّفُ المَغْرِبَ نَفَقَات وَخَسَائِرَ هَائِلَة، وَلَا تَخْدُم سِوَى مصالح إسرائيل، والدُّول الإمبريالية الغَربية ؟ وهل يقدر النظام السياسي القائم في المغرب، على الْاِسْتِرْشَاد بِالسَّعُودية، وَعَلى اِتِّخَاذ مَواقف سيّاسية ذات طبيعة «وَطَنِيَّة»، وَ«مُسْتَقِلَّة»، سَوَاءً عن هَيْمَنَة إِسْرَائِيل، أَمْ عَن سَيْطَرَة الدُول الإِمْبِرْيَالِيَة الغَربية ؟ وَهَلْ يَقْدِرُ النظام السياسي القَائِم في المغرب على «تَطْبِيع» عَلَاقَاتِه مع إِيران المُقَاوِمَة (مِثْلَمَا طَبَّعَت السَّعُودِيَة عَلَاقَاتِهَا مع إِيرَان) ؟ وَمَتَى يُدْرِك النظام السياسي القائم في المغرب أن تَبَعِيَتَه المُطْلَقَة، بَل اِنْبِطَاحَه التَّام، لِاسرائيل، وَلِلْإِمْبِرْيَالِيَات الغَربية، وَاِتِّبَاعَه لِمَنْهج الرَّأْسَمَالِية التَبَعِيَة المُفْتَرِسَة، لَنْ يَجْنِيَ منها سِوَى الأَزَمَات، وَالدَسَائِس، والْاِسْتِغْلَال، والفَسَاد، والتَخَلُّف، والْاِنْحِطَاط، والخَرَاب ؟ وهل يَقدر ملك المغرب على الْاِقْتِدَاء بِـ «وَطَنِيَة»، أو «شَجَاعَة»، أو «تَمَرُّد»، الأمير الشَّاب الصَّاعِد محمد بن سَلْمَان ؟ وقد يَقُول البعض أن سياسيات محمد بن سلمان تَظْهَر مُؤَقَّتًا شَبَابِيَة، أو مُتَقَلِّبَة، أو غير مُنْسَجِمَة، أو غير مَبْدَئِيَة بما فيه الكِفَايَة. لكن كل قرارات السعودية التي أُتِّخِذَت بعد التَطْبِيع بين السعودية وإيران، كلها تَبْقَى، إلى حَدّ الْآن، مُنْسَجِمَة، وَتَسِير في نفس الاتجاه، والذي هو الاستمرار في رَفْض ضُغُطَات أمريكا، وَمُقَاومة هَيْمَنَتِهَا. فَهَلْ يَسْتَطِيع النظام السياسي القائم في المغرب أن يَقْتَدِيَ بِالسَّعُودية، لِكَيْ يَخْتَار طَرِيق التَحَرُّر مِن إِمْلَاءَات أَمْرِيكا، وإسرائيل، وَفَرَنْسَا، والاِتِّحَاد الأَوْرُوبِّي، والبَنْك الدُّوَلِي، وَصُنْدُوق النَّقْد الدُّوَلِي ؟

[[غَرِيب هذا التَطَرُّف في اِنْبِطَاح دولة المَغرب لِلْإِمْبِرْيَالِيَات الغَرْبِيَة، وَلِإِسْرَائِيل.

النظام السياسي في المغرب "طَبَّعَ" عَلَاقَاتِه مع إِسْرَائِيل، إلى دَرَجَة أنه حَوَّلَ المَغرب إلى مَحْمِيَة، أو مُسْتَعْمَرَة إِسْرَائِيلِيَة. وفي نفس

الوقت، تَرْفُض دولة المَغرب "تَطْبِيع" عَلَاقَاتها مع الجَزَائِر، ومع سُورْيَا، وَمع إِيرَان. وَمَعْلُوم أن رَفْضْ تَطْبِيع العَلَاقَات مع سُرْيَا، هو في أَصْلِهِ أَمْر مُوَجَّه من الْإِمْبرْيَالِيَة الْأَمْرِيكِية المُهَيْمِنَة إلى الدول العربية التَّابِعَة لها... وهكذا، يَظْهَر أن مَنْطِق النظام السياسي في المَغرب مَقْلُوب على رَأْسِه.

وَالسِرُّ المُفَسِّر لِمَوْقف دولة المغرب الرَّافِض لِعَوْدَة سُوريا إلى "جامعة الدول العربية"، هو أن سُوريا تَقِفُ في مِحْوَر المُقَاوَمة لإسرائيل ولأمريكا، بينما دولة المغرب تَقِف في مِحْوَر الدول الخَاضِعَة لِلْوِلَايَات المُتَّحِدَة الأمريكية (أمريكا)، ولإسرائيل...

النظام السياسي في المَغرب يظنّ أنه مِن حَقِّه أن يَشْتَرِطَ في عَوْدَة سُورْيَا إلى "جَامِعَة الدول العَرَبِيَة" تَغْيِيرَ طَبِيعَةالنظام السياسي القائم في سُوريا. لكن، وإذا كان مِن حَقّ دولة المغرب أن تَشْتَرِطَ تَغْيِير طَبِيعَة النظام السياسي القائم في سُورْيَا، لِمَاذَا لا يكون أيضا مِن حَقّ النظام السياسي القائم في سُوريا أن يَعْمَل، هو أيضًا، من أجل تَغْيِير النظام السياسي القائم في المَغْرب ؟

وهل يَحقّ الضَّغْط من أجل تَغْيِير نَوْعِيَة النظام السياسي القائم في سُوريا، بينما مِيثَاق جَامِعَة الدول العربية يَنُصُّ على "مبدأ عدم التَدَخُّل في الشُؤُون الداخلية للدول العربية" ؟

وَدَوْلَتَي المَغْرب وَقَطَر تَشْتَرِطَان أن تَقُوم سُورْيَا بِتَوَافُق مع المُعَارَضَة السياسية السُّورِيَة (أَيْ مَع مِيلِيشْيَات "القَاعِدَة"، وَ"جَبْهَة النُّصْرَة"، و"الجُولَانِي"، وَمِيلِيشْيَات أُخْرَى... وهم في مُجْمَلِهِم عُمَلَاء لِأَمْرِيكَا، وَمُرْتَزِقَة لَدَى دولة قَطَر)، وفي نفس الوقت، دَوْلَتَيْ المَغْرِب وَقَطَر لَا تَسْمَحَان حتّى بِوُجُود مُعَارَضَة سيَّاسِيَة حَقِيقِيَة في بَلَدَيْهِمَا، فَبِالْأَحْرَى أن تَقْبَلَان التَفَاوُضَ والتَوَافُق مع المُعَارَضَة السياسية المَوْجُودة لَدَيْهِمَا !

رحمان النوضة، 15 أبريل 2023.]]

جوابًا عن التَسَاؤُلَات السّابِقَة، يُمكن أن أَجْزِم، حَسَبَ مَعَارِفِي، أن النظام السياسي القائم في المغرب، لَنْ يَحْدُوَ حَدْوَ السَّعُودية، وَلَنْ يَتَغَيَّر مِن تِلْقَاء نَفْسه، إذا لم يَفْرِض عليه الشعب ذلك التَغَيُّر. بَل سَيَبْقَى النظام السياسي في المغرب عَاجِزًا عن سُلُوك سِيَّاسات مُقَاوِمَة لِإسرائيل، وَلِلْإِمْبِرْيَاليات الغربية. وَلَنْ يَقدر هذا النظام السياسي القائم في المغرب على خَوْض سِيَّاسات ذَات طَبِيعة «وَطَنِيَة»، أو «مُسْتَقِلَّة»، أو «مُقَاوِمَة» لِلْإِمْبِرْيَاليات الغَرْبِيَة. لأن مصالح الطبقات السّائدة في المغرب ترتبط عُضْوِيًّا بِمَصالح المُؤسَّسات الصَّهيونية، والإمبرياليات الغَربية. وَلِأَن الطبيعة «المَخْزَنِيَة» العَتِيقَة والمُحَافِظَة لهذا النظام السياسي القائم في المغرب، تَدْفَعُه إلى أن يَظَلَّ أَنَانِيًّا، وَانْتِهَازِيًّا، وَاسْتِبْدَادِيًّا، وَدِيكْتَاتُورِيًّا، وَفَاسِدًا، وَمُفْتَرِسًا، وَتَبَعِيًّا، وَبُولِيسِيًّا، وَقَمْعِيًّا. وَسَيَظَلُّ النظام السياسي القائم في المغرب مِثْلَمَا كَان، مُسْتَعِدًّا لِلتَّضْحِيَة بِمَصالح الشعب المغربي، وَبِمَصِيره، لِإِنْقَاذ، أو لِتَنْمِيَة، المصالح المَادِّيَة، والأَنَانِيَة، والضَيِّقَة، لِلْكُتْلَة الحَاكِمَة في المغرب. وإذا مَا صَحَّ هذا التَنَبُّؤُ السَّابِق، وإذا ما حَدَثَ على أرض الواقع، فإن اِخْتِلَاف مَنْهَج دولة المغرب (المُفْرِط في التَبَعِيَة لِإسرائيل ولِأَمْرِيكا) عن مَنْهَج دولة السعودية (الرَّاغِبَة في الخَلَاص مِن هَيْمَنَة أمريكا)، سَيَضَع دولة المغرب لِأَوَّل مَرَّة في تَنَاقُض صَعْب مع السَّعودية وَأَنْصَارِهَا. الشيء الذي قد يَفْتَح إِمْكَانِيَّات حُدوث تَطَوُّرَات سياسية غير مُتَوَقَّعَة في المغرب.

رحمان النوضة. (السبت 11 مارس 2023). (الصيغة 6).